

وقد ود النخيل قامات غيد ..
ساكرات من خمرة الطلل ميسد
خفقت حولها الدوالي .. فريعت
وتأسست على الأسير المقيسد^(١)

في واقع الشعور وحده أخذت أبعاد الحس تكتمل بتفاعل عناصر الطبيعة الماثلة في الواقع . وبدا التوتر كما لو أنه في أناس يتأنقون ويتزينون في محفل رائع — يمد الحسن فيه أزهار الأفحوان بالعطر الذي اختلسه من جيوب العذارى ، ومن ريقهن يفجر الكوثر العذب في ثرى الريف ، فترتوى كل تبتة بالذل والنشوة وتنتشر السنايل في مهب النسيم فتبدو عليها حالة من الفرح الممزوجة بالعبادة لعلهما . الثقة بأن بكاره الريف ونقاءه لم يחדشا رغم السكر الناتج عن طل الطبيعة المؤقت .. لماذا ؟

لأن كل شيء اكتسب بعض خواص الإنسانية الأولى — الجمال — الفرح — العبادة — ليؤكد ذاته — إن صح هذا التعبير — في مواجهة روعة الأسي التي أفزعت الدوالي على ذلك الأسير المقيد ، أو ذلك الفلاح البائس ، فالخيال وصل ما بين الإنسان والطبيعة ، وخلع ماهو من صفات الأول على الثاني ، وأصبح الأخير مشاركا ومتفاعلا مع الأول في الفرح والحزن . فاكتمل النقص ، وخلعت المشاعر الإنسانية على الأشياء .

ولا يقتصر عمل الشاعر على أن يكسب الطبيعة المضمون الإنساني كي تحيا بل يوصله هذا الإدراك إلى إبراز الحيوية ، وإشهاد مظاهر الحياة بين الأشياء ، وبيان كيف يتأثر بعضها ببعض الآخر في حالة تفاعل مستمر ، يقول في « الناي الأخضر » أو أعواد البرسيم

زمارقي في الحسول كم صدحت
فكدت من فرحتي أطير بها
الجدى في مرتعي يراقصها
والنجيل في ريتي يجاوبها

(١) أغاني الكرخ ص ٩٦ — ٩٨